# منهج النبي صلى الله عليه وسلم التربوي

أحمد عيسى محمود حماد
جامعة سنار- كلية التربية - قسم الدراسات الاسلامية

**مستخلص:**

تناولت الدراسة منهج النبي صلى الله عليه وسلم التربوي، وقد عرض الباحث مشكلة الدراسة بصورة مستفاضة، وتطرقت لأهمية الموضوع، وأهدافه، وحدوده، وخاصة ونحن مستهدفون من التيارات الفكرية المستوحاة من النظريات الوضعية، وغيرها من أعداء الإسلام، وقد تناول الباحث الدراسة وفق المنهج الوصفي التحليلي، وفي ختام البحث قد توصل الباحث لعدة نتائج منها على سبيل المثال لا الحصر: ثبوت قدرة المنهج التربوي الإسلامي المستقى من الكتاب والسنة على صناعة الرجال وإبداع الأفكار وشحذ العزائم عبر كل مراحل التاريخ. وبناءً على النتائج فقد أوصى الباحث بعدة توصيات منها: إنزال المنهج النبوي على أرض الواقع في المجتمع؛ لأن في تطبيقه خيري الدنيا والآخرة.

**Abstract**

This study manipulated the educational method of the prophet Mohammed, peace be upon him. The researcher stated the problem of the study, its significance, its objectives, its limitations emphasizing that Muslims are targeted from other ideological doctrines based on local theories and other enemies of Islam. The researcher adopted the descriptive analytical method in this study. In conclusion, the researcher stated the following results : the capability of the Islamic educational method of the prophet Mohammed which based on the Quran and Sunnah to make men, create new ideas and stimulate determination through all stages of history. Depending on these results, the researcher recommends the following : the application of the Islamic educational method should be put on the ground whereby Muslims can obtain the advantages of this life and the life after.

## 1. مقدمة:

للمجتمع المسلم قيمه وحاجاته ومشكلاته التي ينبغي أن تعمل المناهج الدراسية في مؤسساته التربوية على الوفاء بمتطلباتها، بحيث تكون من عوامل استقرار المجتمع والمحافظة على هويته وتقدمه وتحقيق أهدافه. فالحاجة إلى ترسيخ العقيدة الإسلامية والدعوة إلى دين الله بالحكمة والموعظة الحسنة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والأخذ بالأساليب الحديثة في التنمية وملاحقة التقدم العلمي والتقني من الحاجات الملحة لمجتمعات المسلمين. ومن مشكلات بعض المجتمعات المسلمة الأمية الروحية والتخلف عن أداء الفرائض، والانحدار الأخلاقي والانبهار المحبط بحضارة الآخرين، وتدني مستوى الإنتاج، وندرة المياه والحاجة إلى الطاقة, والإرهاب. وطموحات المجتمعات المسلمة كثيرة منها: أن تنهض بمجتمعاتها بحيث توفر لها المقومات الأساسية للحياة، وأن تتوحد كياناتها لكي تواكب الكيانات الكبرى التي تتكون من حولها، وأن تتبوأ مكانها اللائق بين الأمم في مسيرة التقدم المتسارع. لما كانت مبادئ التربية الإسلامية مستوحاة من الكتاب والسنة كان من المحتوم بُعدها عن الخيال والتخبط، وسلوكها منهجاً عملياً واقعياً يناسب الفطرة الإنسانية، ويلاءم الظروف والإمكانات المتاحة لكل من الفرد والمجتمع؛ فالله سبحانه وتعالى لما شرع للإنسان المسلم أسس دعائم المنهج التربوي في الإسلام أرساه على شكل قواعد متينة تحقق أهدافاً واقعية ممكنة التطبيق في عموميتاتها في كل زمان ومكان. وتعتبر مبادئ التربية الإسلامية الواقعية أبعد ما تكون عن مجرد شعارات ترفع وتردد كما هو الحال في كثير من الفلسفات التربوية الوضعية كما أنها أبعد ما تكون عن المثالية التي لا إمكانية لتطبيقها في واقع الحياة. فالتربية الإسلامية هي أقرب ما تكون قابلة للتطبيق في ظل ظروف المجتمع الفاضل الصالح المتماسك والقائم على أساس من الدين والأخلاق

والذي يتحقق في أجوائه العدل والتعاون بين مختلف فئات المجتمع وأفراده. لعل في خاصية الواقعية التي تميز الفكر التربوي الإسلامي ما يجعل الأخلاق الإسلامية متمشية مع إمكانات الإنسان البشرية، ومسايرة ومطابقة تماماً لفطرته السلمية، ومن مظاهر هذه الواقعية التوفيق بين مطالب الروح والجسد معاً، وعدم تكليف الإنسان ما لا يطيق أو يفوق قدراته وإمكاناته.

**2.مشكلة الدراسة:**

الذي دفعني إلى الحديث في هذا الموضوع هو إدراكي التام ما عليه عامة المسلمين – كما يدرك غيري – من تصورات بعيدة عن حقيقة الإسلام حتى صار البون شاسعاً بينهم وبين المنهج المحمدي الذي أشار إليه النبي عليه الصلاة والسلام بقوله:"تركتكم على بيضاء نقية لا يزيغ عنها إلا هالك" وعلى الرغم من هذا التوجيه النبوي المتضمن للإنذار فقد زاغ جمهور المسلمين عن المنهج فصاروا يعملون خارج المنهج في جوانب كثيرة، مغيرين بذلك مفاهيم وقيماً كثيرة فحياة المسلمين اليوم أقرب إلى الجاهلية التي قبل مبعث النبي منها إلى الحياة الإسلامية مما جعل حياتهم مغايرة لحياة الرعيل الأول من الصحابة والتابعين الذين أخذوا تلكم المعاني من صاحب الشريعة مباشرةً أو بسندٍ عالٍ ولعل سر ذلك انصراف الناس عن دراسة مصادر الإسلام الأصلية وتسرب كثير من عادات وتقاليد غير إسلامية إلى صفوف المسلمين. كالهندوكية والبوذية والثقافة الغربية. وهذا التركيب المزجي خلف في صفوف المسلمين ريبة مضللة.

**3.أهمية الدراسة:**

توضح هذه الدراسة مفهوم المنهج النبوي التربوي وأسسه التي ينبغي أن ترتكز عليها عملية المفاضلة العلمية، حتى لا ينخدع الإنسان ببريق الحضارة المادية. وبالتالي تظهر أهمية هذه الدراسة في استجلاء أسس المنهج النبوي التربوي، لتؤكد أن المنهج النبوي التربوي له الريادة بخصوصيته الربانية، ولما حققه من تفعيل لمضامينه التربوية، التي عجزت عن تحقيقها عموم التربيات الأخرى. إضافة إلى أن المأمول من هذه الدراسة أن تعطي قناعة بأن منهج النبي التربوي هو الذي لا تستقيم الحياة إلا به، وأن التربية الغربية انحصر تقدمها في المجال التقني، في حين أنها فشلت في الجوانب الروحية الإنسانية. ولعل هذا يعطي مؤشراً بأهمية مثل هذه الدراسة ليستفيد منها القائمون على المؤسسات التربوية، باعتبار أنها الركيزة الأساسية في تغيير المفاهيم عند المجتمع.

**4.أهداف الدراسة:**

تهدف هذه الدراسة على التعرف على منهج النبوي التربوي؛ وخاصة نحن في الآونة الأخيرة في أمس الحاجة له، والعالم الإسلامي منذ وقت طويل يعيش في وهدته، وهو المخاطب بقوله تعالى: (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ) [آل عمران:110]، لذلك وجب علينا الوقوف على هذا المنهج حتى نخرج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن جور الأديان إلى عدالة الإسلام، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة.

**5.أسئلة الدراسة:**

مما لا شك فيه أن هذه الدراسة قائمة على سؤال رئيس هو: هل بالإمكان في هذا العصر يمكن الرجوع للمنهج النبوي التربوي؟. ويتفرع منه عدة أسئلة هي:

1/ هل المنهج النبوي بشقيه: الأسوة والقدوة، قادر على إخراج البشرية من وهدتها الحالية؟.

2/ لماذا لا نرجع للمنهج النبوي التربوي، بعد أن جربنا مناهج وضعية عديدة وكانت النتيجة صفراً على الشمال. [لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ]؟.

3/ هل المنهج النبوي التربوي يساير تطورات الواقع المعاش. [أُولئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُداهُمُ اقْتَدِهْ]؟.

**مفهوم وتعريف المنهج:**

يعرف ابن منظور المنهج: بأنه الطريق البين الواضح "ومنهج الطريق وضحه والمنهاج كالمنهج، وفي التنزيل: {لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا} [المائدة: 48]، والمنهاج – كما يقول ابن كثير– هو: "الطريق الواضح السهل، والسنن والطرائق". لكن تعريف المنهج بأنه الطريق السهل الواضح، وأنه السنن والطرائق، هو تعريف عام يصلح لكل جوانب الحياة ومجالاتها، كالزراعة والصناعة والتجارة والتربية وغير ذلك. ومن هنا كان لا بد من السير خطوة نحو التخصص.. نحو التربية. ويرى كثير من المتخصصين في المناهج وطرائق التدريس، أن المنهج التربوي هو "مجموع الخبرات والأنشطة التي تقدمها المدرسة للتلاميذ بقصد تعديل سلوكهم وتحقيق الأهداف المنشودة" (مدكور، 2001م، ص13).

**سمات المنهج:**

ومما يؤسف له أن بعض المسلمين لا يكاد يعرف من السنة إلا إطالة اللحية، وتقصير الثوب، واتخاذ السواك من الأراك، غافلاً عن شمول المنهج النبوي، الذي يجد فيه كل إنسان مجالاً للأسوة، سواء كان شاباً أم شيخاً، عَزَباً أم متزوجاً، مسالماً أم محارباً، غنياً أم فقيراً، حاكماً أم محكوماً ... الخ. وهو منهج يتميز كذلك بالتوازن, فهو يوازن بين الروح والجسم, وبين العقل والقلب, وبين الدنيا والآخرة, وبين المثال والواقع, وبين النظر والعمل, وبين الغيب والشهادة, وبين الحرية والمسؤولية, وبين الفردية والجماعية, وبين الإتباع والابتداع. فهو منهج وسط لأمة وسط، لا طغيان فيه ولا إخسار، (أَلاَّ تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ، وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلاَ تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ) [الرحمن: 8 – 9]. ولهذا كان صلى الله عليه وسلم إذا لمح من بعض أصحابه جُنُوحاً إلى الإفراط أو التفريط, ردهم بقوة إلى الوسط, وحذرهم من مغبة الغلو والتقصير. (القرضاوي، 2000م، ص26). وكما جاء (في صحيح البخاري) إنكاره على الثلاثة الذين سألوا عن عبادته صلى الله عليه وسلم فكأنهم تَقَالُّوهَا, ولم تشبع نهمهم إلى التعبد, وعزم أحدهم أن يصوم الدهر فلا يفطر, والآخر أن يقوم الليل فلا يرقد, والثالث أن يعتزل النساء, فلا يتزوج, وقال حين بلغه قالتهم: «[أَمَا وَاللَّهِ] إِنِّي لأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي».ولما رأى مبالغة عبد الله بن عمر في الصيام والقيام والتلاوة, كما في (صحيح البخاري) رده إلى الاعتدال قائلاً: «إِنَّ لِجَسَدِكَ عَلَيْكَ حَقًّا (أي في الراحة) وَإِنَّ لِعَيْنِكَ عَلَيْكَ حَقًّا (أي في النوم) وَإِنَّ لِزَوْجِكَ عَلَيْكَ حَقًّا (أي في الإمتاع والمؤانسة) , وَإِنَّ لِزَوْرِكَ عَلَيْكَ حَقًّا» (أي في الإكرام والمشاركة) يعني فأعط كل ذي حق حقه. (القرضاوي، 2000م، ص27). وكان صلى الله عليه وسلم هو المثل الأعلى في التوازن والاعتدال في حياته كلها، كما دلت على ذلك سنته وسيرته مع ربه، ومع نفسه، ومع أهله، ومع أصحابه، ومع الناس أجمعين. وكان أكثر ما يدعو به الدعاء القرآني: {رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ} [البقرة: 201]. وكان من دعائه كما ذكر الإمام (مسلم في صحيحه): «اللهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي، وَأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ التِي فِيهَا مَعَاشِي، وَأَصْلِحْ لِي آخِرَتِي التِي فِيهَا مَعَادِي، وَاجْعَلِ الحَيَاةَ زِيَادَةً لِي فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَاجْعَلِ المَوْتَ رَاحَةً لِي مِنْ كُلِّ شَرٍّ». وهو كذلك منهج (تَكَامُلِيٌّ) يتكامل فيه الإيمان مع المعرفة، أو الوحي مع العقل، ليكون منهما (نُورٌ عَلَى نُورٍ). ويتكامل فيه التشريع مع التربية، فللتربية دورها في التكوين والتأسيس والتوجيه، وللتشريع دوره في الصيانة والإلزام والتأديب والعقاب، فلا تغني التربية وحدها بلا تشريع، ولا يغني التشريع وحده بغير تربية. وكان صلى الله عليه وسلم هو القائم على التربية والتشريع مَعاً. (القرضاوي، 2000م، ص28 – 29). وتتكامل فيه القوة مع الحق، أو السلطان مع القرآن، أو الدولة مع الدعوة، فإن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن، ومن لم يردعه الحق ردعته القوة، ومن جار على الدعوة أدبته الدولة، ولكل وضع مجاله لا يجوز أن يتعداه بالباطل. وكان الرسول عَلَيْهِ الصَلاَةُ وَالسَّلاَمُ هو صاحب القرآن والسلطان جميعاً، أو صاحب الدعوة والدولة مَعاً، هو الذي يؤم

الناس في الصلاة، وهو الذي يقودهم في المعارك، وهو الذي يحكم بينهم في الخصومة، وهو الذي يقودهم في السياسة، في السلم والحرب، لم يكن كما كان بنو إسرائيل في بعض مراحلهم يوجههم نبي يقود الدعوة، ويسوسهم ملك يقود الدولة. كما حكى القرآن أن نبيهم قال لهم: (إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا) [البقرة: 247]، بل علمه الله أن يقول: (إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ) [الأنعام: 162– 163]. والمَنْهَجُ الوَاقِعِيُّ لا يتعامل مع الناس على أنهم ملائكة أولو أجنحة، بل على أنهم بشر يأكلون الطعام ويمشون في الأسواق، لهم غرائزهم وشهواتهم، ولهم ضروراتهم وحاجاتهم، كما أن لهم أشواقهم الروحية العليا، وتطلعاتهم إلى الملأ الأعلى، فهم خلقوا من طين وحمأ مسنون، كما أن فيهم نفحة من روح الله. فلا غرو أن يصعد الإنسان ويهبط، وأن ينهض ويعثر، وأن يهتدي ويضل، ويستقيم وينحرف، ويعصي الله ويتوب. (القرضاوي، 2000م، ص30). هذا منهج الدَّعوة الملخَّصُ من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، ومن سار على هذا المنهج، فهو الدَّاعية إلى الله حقًّاً، ومن خالف هذا المنهج، فإنه ليس داعيةً إلى الله، وإنما هو داعية لما أراد من الأمور الأخرى، فلا بدَّ من هذا المنهج. والمنهج في الإسلام واحد، لا مناهج في الإسلام، قال تعالى: (اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ، صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ) [الفاتحة: 6 – 7.]،هذا منهج الإسلام، وهذه المناهج الأخرى، وقال سبحانه: (وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ) [الأنعام:153.]. ليس في الإسلام إلا منهج واحد، منهج الرسول صلى الله عليه وسلم، الذي سار عليه السَّلف الصَّالح من الصَّحابة والتَّابعين ومن جاء بعدهم من الدُّعاة والمجدِّدين لدين الله، منهج واحدٌ، لا انقسام فيه ولا اختلاف. وعلامة هذا المنهج أنَّ الذين عليه لا يختلفون، بل يكونون جماعة واحدة، لا يختلفون فيها، بل يكونون مع الذين أنعم الله عليهم من النّبيِّين والصِّدِّيقين والشُّهداء والصَّالحين، وعلامة المناهج المنحرفة وجود الاختلافات بين أهلها، والعداوة بين أهلها، والنِّزاع بين أهلها، فهذا هو الفارق. والواجب أن نكون على منهج واحد، منهج الكتاب والسُّنَّة وسلف هذه الأمة، وهو المنهج الصَّحيح الذي يجب أن نسير عليه في دعوتنا إلى الله، وفي عملنا، وفي علمنا، وفي جميع الأحوال. (الشحود، 2012م، ص432). ولأن من سمات المنهج الإسلامي الواقعية والمرونة بما يحقق خلوده وصلاحه لكل زمان ومكان، ولأن حياة الجماعات البشرية عامة، ومنهم جماعة المسلمين في حركية دائمة مثل حياة الأفراد تتوارد عليها حالات الصحة والمرض، والنصر والهزيمة، والتقدم والتأخر، والضعف والقوة؛ فلا مناص لدين جاء ليغطي حياة البشرية في كل أصقاعها على امتداد الزمان أن يتسع لتغطية كل أوضاع التطور التي يمكن أن تمر بها جماعة أو جماعات المسلمين دائماً. (الشاطبي، 1997م، ص41 – 42).

من أبرز سمات المنهج الإسلامي أنه منهج عبادة، ولكن العبادة في هذا المنهج تحتاج إلى توضيح. فهي ليست قاصرة على مناسك التعبد المعروفة من صلاة وصيام وزكاة. وإنما هي معنى أعمق من ذلك جدًّاً. إنها العبودية لله وحده. والتلقي من الله وحده في أمر الدنيا والآخرة كله. ثم هي الصلة الدائمة بالله في هذا كله. وهذه الصلة في الحقيقة هي منهج التربية كله، تتفرع منه جميع التفريعات وتعود في النهاية كلها إليه. والصلاة والصيام والزكاة والحج وسائر الشعائر التعبدية، إن هي إلا مفاتيح لصلاح النفس وتزكيتها، أو"محطات" يقف عندها السائرون في الطريق يتزودون بالزاد، ولكن الطريق كله عبادة، وكل ما يقع فيه من نسك أو عمل، أو فكر أو شعور فهو كذلك عبادة. ما دامت وجهته إلى الله. ما دام قد شهد حقًّاً – أولاً باللسان – أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وأقام حياته كلها وواقعه كله على هذا الأساس. والعبادة بهذا المعنى تشمل الحياة. إنها لا تقتصر على اللحظات القصيرة التي تشغلها مناسك التعبد. وما كان هذا هو القصد من الآية الكريمة (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) [الذاريات: 56]. وإلا فما قيمة لحظات عابرة في صفحة النفس وفي صفحة الكون، لا تكاد تترك لها أثراً وتضيع في الفضاء؟. إنما قيمتها أن تكون منهج حياة يشمل كل الحياة. قيمتها أن تكون خطة سلوك وخطة عمل وخطة فكر

وخطة شعور، قائمة كلها على منهج واضح، يتبين فيه – في كل لحظة – ما ينبغي وما لا ينبغي أن يكون. (محمد قطب، (د.ت)، ص 34). وكذلك طرق العبادة بالإذعان والانقياد بالأقوال والأفعال وإتباع المشرع والإقتداء به، وخلوص القصد لرب العبادة، وتزكية النفس من بشريتها وشهواتها، والعروج بها لأوج الملكوت ووسطية المنهج في إشباع الرغبات من غير سرف. وكذلك من سمات المنهج العدل والمساواة والانحياز الكامل لجامعة المسلمين.

**قيمة المنهج:**

إن قيمة المنهج الإلهي للبشرية أنه يمضي بها قدماً إلى الكمال المقدر لها في هذه الأرض ولا يكتفي بأن يقودها للذائذ والمتاع وحدهما كما تقاد الأنعام. وإن القيم الإنسانية العليا لتعتمد على كفاية الحياة المادية، ولكنها لا تقف عند هذه المدارج الأولى. وكذلك يريدها الإسلام في كنف الوصاية الرشيدة، المستقيمة على منهج الله في ظل الله. (سيد قطب، 1412هـ، ص2447). هؤلاء الصحابة –رضوان الله عليهم– كانوا جمهور الدعوة في عصرها الأول، وكانوا عملياً حقل تجارب دقيقاً لبيان مدى تجاوب الدعوة الربانية مع الفطرة البشرية، ومعرفة قيمة المنهج المتبع، والأسلوب المألوف، وقد ثبتت سعادة الناس بالدعوة، وخيرية الدعوة للناس أجمعين. (غلوش، 1423هـ، ص19).

وتلك قيمة المنهج الذي يرسم الصورة المتكاملة ويعرضها أمام الناس. إنه ليس خياليًّا ولا مثاليًّا ولا منقطعًا عن واقع الأرض. بل إنه على العكس من ذلك واقعي في الصميم. واقعي بدليل أنه أنتج بالفعل ثمرات طيبة شهدتها البشرية ونعمت بها على مدار التاريخ. وواقعي لأنه يخاطب الناس من طريق مقدرة كامنة في نفوسهم، موجودة بالفعل، مشتمل عليها كيانهم. وهي القدرة على الصعود يحين يهتف لهم هاتف الصعود. هذه المقدرة طاقة حقيقة أودعها الله في الفطرة البشرية، ووكل بها ترقية الحياة الإنسانية والصعود بها دائمًا إلى الأمام. والإسلام يحرص على استغلال هذه الطاقة، ويصر على ذلك أشد الإصرار؛ لأنه واقعي مغرق في الواقعية! إنه يعرف أن هناك نتائج واقعية معينة يصل إليها حين يهتف للناس من طريق الصعود. إنه لا يتوقع –ولا يتطلب– أن يصل الناس جميعهم إلى القمة. ولكنه يتوقع –ويتطلب, ويحدث ذلك بالفعل– أن يرتفع الناس في مجموعهم درجات مختلفة من الارتفاع. بعضهم يقترب من القمة الشامخة، وبعضهم يصعد درجات، وبعضهم يتعب فيجلس في الطريق ليستريح. وبعضهم ينتكس فيهبط إلى الأرض، ولكن المجتمع يرتفع في مجموعه كلهم يرتفعون.. حتى المنتكسون عددهم يقل، وتوجد أمامهم فرصة دائمة للارتفاع! فأية واقعية عميقة تلك التي تنبت من النظرة المثالية؟! ولا يغفل الإسلام أبدًا عن واقع الطبيعة البشرية وما ركب فيها من تنوع في الطاقات والاتجاهات والمستويات. لذلك لا يلزم الناس بصورة مثالية معينة مصبوبة في قالب لا تتعداه. إنما هو يطلب إلى كل إنسان أن يبلغ حدود الكمال الممكن له هو بحسب استعداداته وطاقاته واتجاهاته. وكل ما يفرضه هو المحاولة الدائمة لبلوغ ذلك الكمال الخاص في حدود الإطار المثالي العام. (محمد قطب، (د.ت)، ص236 – 237).

**تنقية المنهج:**

الاهتمام بتحرير المنهج النبوي في سائر المجالات والعناية به قليلة، مع أنه بإمكان النظرة الشمولية لهذه الجهود العلمية الضخمة، أن يكون استخلاص المنهج مطلب ضروري، بيد أنه ليس بالأمر اليسير، خلافاً لما قد يتوهمه بعضهم حين ظنوا أن (المنهج النبوي) على طرف، وأن نظرة عجلى على السيرة العطرة، أو جزء من السنة المطهرة، أو انتقاء مقاطع من هنا أو هناك كافية للإحاطة بهذا المنهج الفذ، وبناء حتميات تاريخية على تلك الأفهام العجلة. وتصوُّر بعضٍ أن بالإمكان إعادة إنتاج العهدين المكي والمدني، أو تمثيلهما في أي واقع يُعَدُّ مجازفة كبيرة. إن المنهج حين يطلق في إطار معرفي إنما يراد به قانون ناظم ضابط يقنن الفكر ويضبط المعرفة التي إن لم

يضبطها المنهج فقد تتحول إلى مجرد خطرات انتقائية مهما كانت أهميتها لا يمكن تحويلها إلى ضوابط فكرية وقوانين معرفية تنتج الأفكار وتولد المعارف وتضبط حركاتها وتميز بينها؛ فبالمنهج يمكن أن نحَدد طبيعة المعرفة وقيمتها وحقل عملها واتجاهها وكيفية البناء عليها والتوليد منها، إن أي فكر تتضارب مقولاته وتتناقض لا يعتبر فكراً منهجياً حتى لو تمكن أصحابه من تقديم مختلف التأويلات التوفيقية: كالتأويل، والمقاربة، والتلفيق، وغيرها. ولذلك فإن إطلاق مصطلح: (منهج النبي صلى الله عليه وسلم) و(المنهج الإسلامي) على ما يصل الباحثون إليه باجتهاد شخصي أو فردي لا بد أن يُحتاط فيه، كأن يقال:على ما نراه، أو على ما توصلنا إليه ... الخ).[وَلَوْ كانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً] (النساء: 82). مطلوب اليوم أكثر من أي وقت مضى قراءة السيرة ودراستها دراسة إستراتيجية في مختلف الحالات الاجتماعية والتربوية والعلمية والإدارية والسياسية والاقتصادية والحركية والأمنية والثقافية. ففي السيرة بيان لجميع الحالات أو أصولها؛ خلافاً لصنيع بعض كُتَّاب السيرة حين يصورون حياة النبي صلى الله عليه وسلم على أنها صراع وحروب وغزوات وسرايا، ويغفلون عن الجوانب الأخرى. لكن المطلوب: دقة تحليل الواقع المعاش من خلال متخصصين، لامتحمسين فقط، ثم دراسة السيرة وتحليلها، ثم تحديد مواقع الاقتداء من مسيرة السيرة، أو اكتشاف المرحلة من السيرة التي تمثل حالة الاقتداء وكيفيته من خلال ظروف الحال نفسه. (مجلة البيان، ج147، ص62). «أدبنى ربى فأحسن تأديبى»

**تربية الصحابة:**

لقد جاء القرآن بمنهاج كامل شامل للحياة كلها. وجاء في الوقت ذاته بمنهاج للتربية يوافق الفطرة البشرية عن علم بها من خالقها. فجاء لذلك منجماً وفق الحاجات الحية للجماعة المسلمة، وهي في طريق نشأتها ونموها، ووفق استعدادها الذي ينمو يوماً بعد يوم في ظل المنهج التربوي الإلهي الدقيق. جاء ليكون منهج تربية ومنهاج حياة لا ليكون كتاب ثقافة يقرأ لمجرد اللذة أو لمجرد المعرفة. جاء لينفذ حرفاً حرفاً وكلمةً كلمةً، وتكليفاً تكليفاً. جاء لتكون آياته هي «الأوامر اليومية» التي يتلقاها المسلمون في حينها ليعملوا بها فور تلقيها، كما يتلقى الجندي في ثكنته أو في الميدان «الأمر اليومي» مع التأثر والفهم والرغبة في التنفيذ ومع الانطباع والتكليف وفق ما يتلقاه. (سيد قطب، 1412هـ، ص2562 – 2563). من هذه النصوص وغيرها يتبين لنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن يعتمد شيئاً في تربية الصحابة غير القرآن، وسنته المطهرة، باعتبارها شارحة له. ومن هنا توثق ارتباط الناس بالقرآن في العهد النبوي، ارتباطاً عمق صلة القلوب بربها، إلى درجة أن الصحابة، رضوان الله عليهم، كانوا يتتبعون الوحي، تتبع الملهوف، الحريص على الترقي في مدارج المعرفة بالله والسلوك إليه سبحانه. (الهلالي، 2006م، ص38). لذا وجب علينا نحن اختيار الجماعة الأولى ومميزاتهم ودرجتهم ومعاملة النبي صلى الله عليه وسلم لهم، والاحتفاظ لكل بحقه وقدره ووحدة الجماعة وتماسكها، والاهتداء بهم تعلماً وتعليماً وعبادة وتعبداً وانقياداً واجتهاداً. سمو تربية الصحابة على فضائل الإسلام كلها وكمال تأدبهم بآداب هذا الدين الحنيف وشدة خوفهم من الله وصفاء نفوسهم إلى حد لا يتفق والكذب خصوصاً الكذب على الله تعالى والتجني على أفضل الخليقة صلوات الله وسلامه عليه. يقول علماء الأخلاق والمشتغلون بعلم النفس وعلوم الاجتماع إن الكذب جناية قبيحة لا يمكن أن يصدر إلا عن نفس ساقطة لم تتأدب ولا يتصور أن يفشوَ إلا في شعب شاذ لم يتهذب. (الزرقاني، ج1، ص923). وبهذا الأسلوب المقنع عالج الرسول صلى الله عليه وسلم كثيراً من الرذائل التي تفشَّت في العرب, لا سيما القتل، إذ انتشرت بينهم جريمة القتل والاعتداء على النفس, وربما تتحول إلى وقوع الحروب بين القبائل لأتفه الأسباب, ولم يكن لهم قانون يقضي على هذه الجريمة, ويوقف هذا النزيف الدموي, حتى جاء الرسول الكريم فأوقف هذا النزيف بتربية القرآن لهم؛ حيث يقول الله – سبحانه وتعالى –: (وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ) [الإسراء: 33], وبتربيته لهم صلى الله عليه وسلم ؛ إذ بيَّن لهم الحق الذي تزهق به النفوس كما جاء في (صحيح مسلم): «لَا يَحِلُّ

دَمُ رَجُلٍ إِلَّا ثَلَاثَةً، مَنْ قَتَلَ نَفْسًا، أَوِ الثَّيِّبُ الزَّانِي، أَوِ التَّارِكُ لِلْإِسلَامِ». (صحيح مسلم، 1302/3). وكانت تربية النبي صلى الله عليه وسلم لهذا الرعيل على المستوى الرفيع سيكولوجياً ووجدانياً وبقدر ما أتيح له عليه السلام مالياً واقتصادياً. لقد أخذ الداعية الأول صلى الله عليه وسلم على نفسه مسئولية إعداد قيادة يصل بها الفكر إلى أرفع مستويات العقيدة وضوحاً وشمولاً. كما أخذ على نفسه مسئولية حمايتها من الجو الذي تتعرض له إن عنَّ لواحد منها في هذه المرحلة شيء من ذلك. (شلبي، (د.ت)، ص 201). لَا شكّ أَن العقيدة الراسخة هِيَ أساس التربية وَلذَلِك فقد مكث النَّبِي صلى الله عليه وسلم فِي مَكَّة ثَلَاثَة عشر عَاماً يَدْعُو إِلَى التَّوْحِيد ويربي أَصْحَابه على العقيدة ويغرسها فِي نُفُوسهم فَكَانَ صلى الله عليه وسلم طيلة هَذِه الْمدَّة يبْذل غَايَة جهده لتخليص النُّفُوس من شوائب الشّرك ويربي نفوس الْمُؤمنِينَ على صدق التَّوَجُّه لله إِرَادَةً وقصداً وعبوديةً خَالِصَة. (الزيد، 1424هـ، ص105). «كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ يَغْضَبُ لِغَضَبِهِ، وَيَرْضَى لِرِضَاهُ » (مسند أحمد، 183/42). فكانوا لا يتهافتون على الوظائف والمناصب، فضلاً عن أن يرشحوا أنفسهم للإمارة، ويزكوا أنفسهم، وينشروا دعاية لها، وينفقوا الأموال سعياً وراءها. فإذا تولوا شيئاً من أمور الناس لم يعدوه مغنماً أو طُعمةً أو ثمناً لما أنفقوا من مالٍ أو جهدٍ بل عدوه أمانةً في عنقهم، وامتحاناً من الله ويعلمون أنهم موقوفون عند ربهم، ومسؤولون عن الدقيق والجليل، وتذكروا دائما قول الله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَاناتِ إِلى أَهْلِها، وَإِذا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ) [النساء: 58]. وقوله صلى الله عليه وسلم:«وَإِنَّهَا أَمَانَةُ، وَإِنَّهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ خِزْيٌ وَنَدَامَةٌ، إِلَّا مَنْ أَخَذَهَا بِحَقِّهَا، وَأَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ فِيهَا» (صحيح مسلم، 1457/3). وأيضاً أنهم لم يكونوا خدمة جنس، ورسل شعب أو وطن، يسعون لرفاهيته ومصلحته وحده ويؤمنون بفضله وشرفه على جميع الشعوب والأوطان، لم يخلقوا إلا ليكونوا حكاماً، ولم تخلق إلا لتكون محكومة لهم. ولم يخرجوا ليؤسسوا إمبراطورية عربية ينعمون ويرتعون في ظلها، ويشمخون ويتكبرون تحت حمايتها، ويخرجون الناس من حكم الروم والفرس إلى حكم العرب وإلى حكم أنفسهم! إنما قاموا ليخرجوا الناس من عبادة العباد جميعاً إلى عبادة الله وحده. كما قال ربعي ابن عامر رسول المسلمين في مجلس يزدجرد: "ابتعثنا الله لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله ومن ضيق الدنيا إلى سعة الآخرة، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، فأرسلنا بدينه إلى خلقه لندعوهم إليه، فمن قبل منا ذلك، قبلنا ذلك منه، ورجعنا عنه، وتركناه وأرضه يليها دوننا، ومن أبي ذلك قاتلناه أبدا حتى نفضي إلى موعود الله". (عبد الرحمن، 2007م، ص 90). لذلك لم يقصدوا إلا إقامة العدل والقسط بين الناس فالأمم عندهم سواء، والناس عندهم سواء. الناس كلهم من آدم، وآدم من تراب. لا فضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي إلا بالتقوى: (يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْناكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثى وَجَعَلْناكُمْ شُعُوباً وَقَبائِلَ لِتَعارَفُوا، إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقاكُمْ) [الحجرات: 13]. وقد قال عمر بن الخطاب لعمرو بن العاص عامل مصر– وقد ضرب ابنه مصرياً وافتخر بآبائه قائلاً: خذها من ابن الأكرمين. فاقتص منه عمر–: "متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أحرارا أمهاتهم"؟. (سيد قطب، 1412هـ، ص3969). أنه صبغ كل المواضيع التي طرقها وعالجها، بصبغة الهدي والموعظة والإرشاد. فلم ينسّق هذه المواضيع والأبحاث على أساس وحدات منفصلة ومستقلة عن بعضها، كما هو شأن عامّة الكتب والمؤلفات المعهودة، إذ هي بذلك لا تؤدي عملها التربوي المقصود في نفس الإنسان، وإنما بثّ في جميعها شرايين التوجيه والنصح والهداية، فصيّرها بذلك وحدة كاملة متضامّة تعمل عملاً واحداً وتسير بالإنسان نحو غاية لا تختلف. (البوطي، 1999م، ص211). وإن تأملنا خاصية الأهمية في المنهج التربوي القرآني يوضح أن القرآن الكريم قد أرسى قاعدة تربوية عظيمة، وهي أن الأهمية لا تحصر في الدرس أو فيما يتعلق بالجانب التعليمي، بل هي أوسع من ذلك بكثير، فهي تمتد لتشمل جميع ما يهم المتعلم ويتصل بحياته، سواء كان ذلك يتعلق بما يتعلمه داخل حجرة الدراسة أم كان يتعلق بمختلف جوانب حياته ويحتاج إلى فهمه ومعرفته والإجابة عما يثيره من أسئلة واستفسارات. (ضليمي، 2001م، ص291). إن الأخلاق الرفيعة

جزء مهم من العقيدة، فالعقيدة الصحيحة لا تكون بغير خلق وقد ربى رسول الله صلى الله عليه وسلم صحابته على مكارم الأخلاق بأساليب متنوعة. فقد ذكر (الترمذي) حديث (ص): «مَا شَيْءٌ أَثْقَلُ فِي مِيزَانِ المُؤْمِنِ يَوْمَ القِيَامَةِ مِنْ خُلُقٍ حَسَنٍ، وَإِنَّ اللَّهَ لَيُبْغِضُ الفَاحِشَ البَذِيءَ» وقد جاء في (مسند الإمام أحمد) أنه سُئِلَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم، مَا أَكْثَرُ مَا يُدْخِلُ الْجَنَّةَ؟ قَالَ: «التَّقْوَى، وَحُسْنُ الْخُلُقِ»، وَسُئِلَ مَا أَكْثَرُ مَا يُدْخِلُ النَّارَ؟ قَالَ: "الْأَجْوَفَانِ: الْفَمُ، وَالْفَرْجُ " إن الأخلاق ليست شيئاً ثانوياً في هذا الدين، وليست محصورة في نطاق معين من نطاقات السلوك البشري، إنما هي الترجمة العملية للاعتقاد والإيمان الصحيح؛ لأن الإيمان ليس مشاعر مكنونة في داخل الضمير فحسب، إنما هو عمل سلوكي ظاهر كذلك، بحيث يحق لنا حين لا نرى ذلك السلوك العملي, أو حين نرى عكسه، أن نتساءل أين الإيمان إذن؟ وما قيمته إذا لم يتحول إلى سلوك؟. (الصلابي، 2008م، ص114). وإذا استعرضنا تاريخ الصّحابة رضوان اللَّه عليهم نشاهد العجب من عظمة تأديب الإسلام لهم، وتربيته إيّاهم تربية سامية جعلتهم أشباه الملائكة يمشون على الأرض لا سيما ناحية الصّدق والأمانة، والتثبّت والتّحرّي والاحتياط، وذلك من كثرة ما قرر القرآن فيهم لهذه الفضائل. ومن عناية الرّسول صلى الله عليه وسلم بهم علماً وعملاً ومراقبةً حتى أصبحوا بنعمة من اللَّه وفضل منطبعة قلوبهم على هذه الجلائل متشبّعة نفوسهم بمبادئ الشّرف والنبل تأبى عليهم كرامتهم أن يقاربوا الكذب أو يقارفوا التّهجم لا سيّما التّهجّم على مقام الكتاب العزيز وكلام صاحب الرسالة صلى الله عليه وسلم. قالت عائشة رضي اللَّه عنها «ما كان خلق أشد على أصحاب رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم من الكذب، ولقد كان رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم يطّلع على الرّجل من أصحابه على الكذب فما ينجلي من صدره حتى يعلم أنه أحدث توبة للَّه عزّ وجلّ». (العسقلاني، 1415هـ، ص52).

**التدرج في التعليم:**

لا ريب أن البداءة بتعليم الأصول والكليات قبل الفروع والجزئيات، يُعدُّ السلَّم السوي في مراتب التعليم، وأدعى لثبات العلم ورسوخه لدى المتعلم. وقد قرر المنهج النبوي هذه الطريقة في التعليم، ففي (سنن ابن ماجه) عن جندب بن عبد الله – رضي الله عنه – قال: «كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَنَحْنُ فِتْيَانٌ حَزَاوِرَةٌ، فَيُعَلِّمُنَا الْإِيمَانَ، ثُمَّ يُعَلِّمُنَا الْقُرْآنَ، فَازْدَدْنَا بِهِ إِيمَانًا». ودلَّ حديث ابن عمر – وهو من صغار الصحابة – أن هذا المنهج سرى على الصحابة عموماً، فقال – رضي الله عنه – كما جاء في (السنن الكبرى): سَمِعْتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ يَقُولُ: «لَقَدْ عِشْنَا بُرْهَةً مِنْ دَهْرِنَا، وَأَحَدُنَا يُؤْتَى الْإِيمَانَ قَبْلَ الْقُرْآنِ، وَتَنْزِلُ السُّورَةُ عَلَى مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم فَنَتَعَلَّمُ حَلَالَهَا وَحَرَامَهَا، وَآمِرَهَا وَزَاجِرَهَا، وَمَا يَنْبَغِي أَنْ يَقِفَ عِنْدَهُ مِنْهَا، كَمَا تَعَلَّمُونَ أَنْتُمُ الْيَوْمَ الْقُرْآنَ، ثُمَّ لَقَدْ رَأَيْتُ الْيَوْمَ رِجَالًا يُؤْتَى أَحَدُهُمُ الْقُرْآنَ قَبْلَ الْإِيمَانِ، فَيَقْرَأُ مَا بَيْنَ فَاتِحَتِهِ إِلَى خَاتِمَتِهِ مَا يَدْرِي مَا آمِرُهُ وَلَا زَاجِرُهُ، وَلَا مَا يَنْبَغِي أَنْ يَقِفَ عِنْدَهُ مِنْهُ، فَيَنْثُرُهُ نَثْرَ الدَّقَلِ». وهذا الذي يتحدث عنه – رضي الله عنه – حقيقة مرة نلحظها اليوم في بعض روَّاد حلق القرآن، فتجد الواحد منهم من أبعد الناس خلقاً وأدباً وسلوكاً عما يدعو إليه القرآن، وما ذلك إلا لتحوُّل المنهج الصحيح في الأخذ والتلقي، فأصبح الأمر مجرد ألفاظ يرددها ويحفظها، فلا تجد لها مسلكاً إلى القلب، فلا ينتفع بهذا الكلام المبارك. ونلاحظ بُعد الناس عن الأسوة والقدوة بتطاول الأزمان ومجاراة عادات أهل زمانهم، وانطباع النفوس على الشهوات، وقسوة القلوب، وسبب ذلك اختلاف النقول، والمخرج هو الرجوع إلى الأصول. ومن هذا المبدأ يجب على كل معلم لكتاب الله أن يكون حكيماً في تعليمه، متفهماً لما يعطيه، فقد جاء عن الضحاك في معنى قوله تعالى: {مَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ}[آل عمران: 79] ، قال: "حق على من تعلَّم القرآن أن يكون فقيهاً". (حازم، (د.ت)، ص46). ذلك كله أثر من آثار تربية النبي صلى الله عليه وسلم لهم على الحنيفية السمحة التي لا إفراط ولا تفريط فكانوا كما قال الله تعالى: (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ) [آل عمران:110] وقال: (وَكَذلِكَ جَعَلْناكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَداءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ

الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً) [البقرة: 143]. على هذا المنهج النبوي الكريم يجب على المشايخ والدعاة أن يقوموا بتربية الناس رجالاً ونساءً ولن يستطيعوا ذلك إلا إذا تعرّفوا على السنة والسيرة النبوية الصحيحة التي تشمل: قوله صلى الله عليه وسلم وفعله وتقريره وما كان عليه سلفنا الصالح مما صح عنهم فإن فقه العالم لا يستقيم إلا بهذا كله مستعيناً على ذلك بأقوال الأئمة المجتهدين والعلماء المحققين وإلا حاد عن الحق وسبيل المؤمنين. ولله در شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله حين نبه على هذا: "والمنقول عن السلف واعتقادي أن العلماء لو التزموا هذا المنهج لزال كثير من الخلاف القائم بينهم بشرط أن يخلصوا لله تبارك وتعالى في طلب الحق والابتعاد عن التقليد الأعمى للمذاهب والآباء والأجداد الذي ابتلي به اليوم كثير من الناس لعلماء يحتاج إلى معرفة ثبوت لفظه ودلالته كما يحتاج إلى ذلك المنقول عن الله ورسوله. (الألباني، 1421هـ، ص156 – 157). ونلحظ أن المجتمع الإسلامي يضج بالحركة، ويسعى للشهادة شيباً، وشباباً، وحتى الصبيان يقبلون على الموت ببسالة، ورغبة في الشهادة، تبعث على الدهشة، دون أن يجبرهم قانون التجنيد، أو تدفع بهم قيادة إلى ميدان القتال، وهذا يدل على أثر المنهج النبوي الكريم في تربية شرائح الأمة المتعددة على حب الآخرة والترفع عن أمور الدنيا. (الصلابي، 2008م، ص480).

فإن المنهج النبوي في مجال التربية والتعليم واضح المعالم، محدد الملامح والقسمات، مضمون النتيجة، ومن الميسور الأخذ به، والعمل وفق تعاليمه وإرشاداته، ومن الميسور أيضا أن يقنن هذا المنهج، وأن توضع الخطط التعليمية والتربوية على أساسه والأمر لا يتطلب أكثر من صدق النوايا والإخلاص للعمل. ولدينا والحمد لله الكثير من رجالات التربية والتعليم الصادقين في النوايا والإخلاص، القادرين على العكوف على دراسة هذا المنهج، والأخذ منه، والاقتداء به؛ لتشع حياتنا كلها بنور المعرفة القائمة على هدى الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم. (المرسي، 1998م، ص181). لَكِن على الداعية والمربي أَن يهتم أَولاً بالعقيدة ويركز عَلَيْهَا لِأَنَّهَا الركيزة لما بعْدهَا وَلِأَن قُوَّة الْإِيمَان بِاللَّه تَسْتَلْزِم الانقياد لشرعه وتثمر الاستسلام لمنهجه، ونستفيد من الْمنْهَج النَّبَوِيّ أَن من الأوليات فِي تربية الناشئة غرس التَّوْحِيد الْخَالِص فِي قُلُوبهم وَأَن يربوا على مراقبة الله عز وَجل والشعور بِقُرْبِهِ وَحفظه لأوليائه وَالْإِيمَان بِقَدرِهِ ونلمس هَذَا وَاضحاً فِي تَوْجِيه كريم وتربية صَادِقَة من الْمُصْطَفى صلى الله عليه وسلم لِابْنِ عَمه الْغُلَام عبد الله بن عَبَّاس. فقد أخرج (أَحْمد): عَن ابْن عَبَّاس رَضِي الله عَنهُ قَالَ: كنت خلف النَّبِي صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: ((يَا غُلَام إِنِّي أعلمك كَلِمَات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تَجدهُ تجاهك، إِذا سَأَلت فاسأل الله، وَإِذا استعنت فَاسْتَعِنْ بِاللَّه، وَاعْلَم أَن الْأمة لَو اجْتمعت على أَن ينفعوك بِشَيْء لم ينفعوك إِلَّا بِشَيْء قد كتبه الله لَك، وَلَو اجْتَمعُوا على أَن يضروك بِشَيْء لم يضروك إِلَّا بِشَيْء قد كتبه الله عَلَيْك، رفعت الأقلام وجفت الصُّحُف)) وَفِي رِوَايَة أخرى ((تعرف على الله فِي الرخَاء يعرفك فِي الشدَّة, وَاعْلَم أَن فِي الصَّبْر على مَا تكره خيراً كثيراً وَأَن النَّصْر مَعَ الصَّبْر وَأَن الْفرج مَعَ الكرب وَأَن مَعَ الْعسر يسرا)) فَهَذِهِ توجيهات عَظِيمَة ومبادئ قويمة يغرسها النَّبِي صلى الله عليه وسلم فِي نفس هَذَا الْغُلَام النَّاشِئ تبدأ هَذِه الْكَلِمَات بالتربية على المراقبة لله وَحفظ أوامره ونواهيه وَذَلِكَ بإتباع الْأَوَامِر وَأَدَاء الْفَرَائِض والمحافظة عَلَيْهَا وَاجْتنَاب النواهي والبعد عَنْهَا وَبِذَلِك يحفظه الله وَيكون مَعَه بالتسديد وَالْحِفْظ والعون ثمَّ التَّوْجِيه إِلَى قُوَّة الارتباط بِاللَّه واللجوء إِلَيْهِ والخضوع لَهُ والتذلل لَهُ بسؤاله وَحده والاستعانة بِهِ وَحده. (الزيد، 1424هـ، ص107). وفى هذا دليل على أن الداعية والأمر بالمعروف والناهي عن المنكر يبدأ بأهل بيته وخاصته أولاً، ثم بجيرانه وأهل بلده، ثم يتمدّد بالخير إلى من حوله من البلاد، أما العكس وهو أن يذهب إلى الأباعد أو إلى البلاد البعيدة ويترك أهله، ويترك بلده، ويترك أقاربه، فهذا خلاف منهج الرسول صلى الله عليه وسلم الذي أمره الله تعالى به، فمن منهج الدعوة البداية بالأقارب، وبأهل البيت، كما قال الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ) [البقرة: 24]. أمر بوقاية النفس أولاً، ثم بوقاية الأهلين، وذلك لأن الأقارب لهم حق، ومن أعظم حقوقهم: إرشادهم إلى ما فيه خيرهم، وصلاحهم، وفلاحهم. (الفوزان، 2002م،

ص214). إن من الخطأ الكبير أن يتعجل المصلحون عقاب المنحرفين، ويتجهموا في وجههم ويتنكروا لهم، ولكن الحكمة والمصلحة أنه لا بد من الصبر والحلم، والعفو والصفح، والترغيب والتشويق، ليقبل الناس على الخير عن طواعية واختبار. وهذا الاتجاه هو الذي سلكه القرآن في تربية الدعاة إلى الله والإسلام، حيث رغّب غير المؤمنين بالإيمان بوسائل مختلفة، وفتح لهم باب الرحمة الواسعة والفضل الكبير، بتجاوز الماضي والعفو عن السيئات السابقة، فقال الله تعالى مقرراً هذا المنهج التربوي الأصيل: (قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ ما قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ وَقاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِما يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلاكُمْ نِعْمَ الْمَوْلى وَنِعْمَ النَّصِيرُ) [الأنفال: 38 – 40]. (الزحيلي، 1422هـ، ص798). وانطلاقاً من أن (إسلامية التعليم) في الديار الإسلامية اليوم ضرورة لا مناص منها لبناء الأجيال الإسلامية بناء سوياً متكاملاً في الفكر والتصور والسلوك والعمل. وذلك بجعل جميع العلوم محكومة بالإسلام في المنطلقات والأهداف، وأن يكون الإسلام بنظمه وضوابطه إطاراً لهذا العلوم، وأن تكون العقيدة الإسلامية قاعدة وأصلاً في بناء المنهج التربوي والتعليمي. وتتلخص أهم معالم المنهج المنشود في (إسلامية التعليم) في جعل العقيدة الإسلامية قاعدة التصور الإسلامي الكبير الذي يعطي نظرة كلية شاملة للكون والإنسان والحياة، كما تعرِّف الإنسان بخالق الحياة وعلاقته بالكون، وعلاقة الإنسان بخالقه، وبمجتمعه. (الزحيلي، (د.ت)، ص5153).

**النتائج:**

1/ ثبوت قدرة المنهج التربوي الإسلامي المستقى من الكتاب والسنة على صناعة الرجال وإبداع الأفكار وشحذ العزائم عبر كل مراحل التاريخ.

2/ مهما بدا للناس أن الفكر الإسلامي النقي قد حجبته الغواشي واكتنفته شبهات بعض المستشرقين ومن نقل عنهم عاد صافياً متجدداً.

3/ أن حال البشرية لا يستقيم إلا بالرجوع للمنهج النبوي التربوي.

4/ إن المنهج النبوي التربوي موافق للفطرة السليمة، وقابل للتطبيق في أي مكان وزمان.

**التوصيات:**

1/ إقامة مزيد من الدراسات في هذا الموضوع؛ لأن الأمة الإسلامية في أمس الحوجة لذلك.

2/ عقد مزيد من الدراسات المقارنة بين المنهج النبوي التربوي والمناهج الأخرى سماوية محرفة كانت أم وضعية حتى يعرف المجتمع الفرق الشاسع بينهما.

3/ إنزال المنهج النبوي على أرض الواقع في المجتمع؛ لأن في تطبيقه خيري الدنيا والآخرة.

**المصادر والمراجع:**

**أولاً: الكتب المقدسة:**

1. القرآن الكريم

**ثانياً: كتب التفسير:**

2. سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي، في ظلال القرآن، الناشر: دار الشروق –بيروت– القاهرة، ط 17، 1412هـ، ج5.
3. وهبة بن مصطفى الزحيلي التفسير الوسيط للزحيلي، الناشر: دار الفكر – دمشق، 1422هـ، ط1، ج1.

**ثانياً: كتب الحديث:**

4. ابن ماجة – وماجة اسم أبيه يزيد – أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، سنن ابن ماجه، تحقيق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد – محمَّد كامل قره بللي – عَبد اللّطيف حرز الله، الناشر: دار الرسالة العالمية، ط1،

1430هـ – 2009 م

5. أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط 1، 1421هـ – 2001م.
6. أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر، السنن الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنات، ط3، 1424هـ – 2003م.
7. محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة، ط1، 1422هـ
8. محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك الترمذي، سنن الترمذي، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، ط2، 1395هـ – 1975م.
9. مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، (د.ت).

**رابعاً: المصادر:**

10. إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي، الموافقات، المحقق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، الناشر: دار ابن عفان، الطبعة: ط1، 1417هـ – 1997م، مقدمة المحقق.
11. أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ط1، 1415هـ، ج1.
12. محمد عبد العظيم الزُّرْقاني،مناهل العرفان في علوم القرآن، ط3، (د.ت)، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ج1.

**خامساً: المراجع:**

13. أحمد أحمد غلوش، دعوة الرسل عليهم السلام،الناشر: مؤسسة الرسالة، ط1، 1423هـ –2002م.
14. أحمد بن عبد الفتاح ضليمي، السؤال في القرآن الكريم وأثره في التربية والتعليم، الناشر: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ط2، السنة الثالثة والثلاثون – العدد 111 – 1421هـ – 2001م.
15. حازم سعيد حيدر،المقومات الشخصية لمعلم القرآن الكريم،الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، (د.ت).
16. رؤوف شلبي، الدعوة الإسلامية في عهدها المكي: مناهجها وغاياتها، الناشر: دار القلم، ط3.
17. صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد، الناشر: مؤسسة الرسالة،ط 3، 1423هـ 2002م، ج1.
18. عبد الرحمن بن عبد الكريم الزيد، وقفات مع أحاديث تربية النبي صلى الله عليه وسلم لصحابته، الناشر: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة،ط3، السنة السادسة والثلاثون العدد (112)، 1424هـ.
19. على أحمد مدكور، مناهج التربية أسسها وتطبيقاتها، الناشر: دار الفكر العربي، ط1421،3هـ – 2001م.
20. علي بن نايف الشحود، مفهوم الولاء والبراء في القرآن والسنة، ط1، 1433هـ – 2012م.
21. عَلي محمد محمد الصَّلاَّبي، السِّيرةُ النّبوية – عرضُ وقائع وَتحليل أحدَاث، الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط7، 1429هـ – 2008م.
22. كمال الدين عبد الغني المرسي، من قضايا التربية الدينية في المجتمع الإسلامي، الناشر: دار المعرفة الجامعية، ط1، 1419هـ – 1998م.
23. مجدي الهلالي، إنه القرآن سر نهضتنا – كيف يمكن للقرآن أن ينهض بالأمة؟، الناشر: مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، ط1، 1427هـ – 2006م.

24. محمد بن قطب بن إبراهيم، منهج التربية الإسلامية، الناشر: دار الشروق، ط16، (د.ت)، ج1.
25. محّمد سَعيد رَمضان البوطي، من روائع القرآن – تأملات علمية وأدبية في كتاب الله عز وجل، الناشر: موسسة الرسالة – بيروت،1420هـ – 1999م.
26. محمد ناصر الدين الألباني، الرد المفحم على من خالف العلماء وتشدد وتعصب وألزم المرأة أن تستر وجهها وكفيها وأوجب ولم يقنع بقولهم: إنه سنة ومستحبة، الناشر: المكتبة الإسلامية – عمان – الأردن، ط 1، 1421هـ.
27. وَهْبَة بن مصطفى الزُّحَيْلِيّ، الفِقْهُ الإسلاميُّ وأدلَّتُهُ (الشَّامل للأدلّة الشَّرعيَّة والآراء المذهبيَّة وأهمّ النَّظريَّات الفقهيَّة وتحقيق الأحاديث النَّبويَّة وتخريجها)، الناشر: دار الفكر – سوريَّة – دمشق، ط4، ج7.
28. ياسر عبد الرحمن، موسوعة الأخلاق والزهد والرقائق (قصص تربوية من حياة الأنبياء والصحابة والتابعين والصالحين)، الناشر: مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، ط1، 1428هـ – 2007م.
29. يوسف عبد الله القرضاوي،كيف نتعامل مع السنة النبوية، الناشر: دار الشروق،ط1، 1421هـ – 2000م.

**سادساً: المجلات والدوريات:**

30. مجلة البيان، تصدر عن المنتدى الإسلامي، ج147